Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

شواهد فخر الدين الرازي وقيمتها التفسيرية في كتابه: "التفسير الكبير"

د.الحسين بركات
قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات
جامعة محمد بوضياف. المسيلة

Résumé:

Les ouvrages d'interprétation ne manquent pas de références et de citations à la différence de leurs genres et la diversité de leurs orientations. Errazi, comme bien d'autres interprètes, a multiplié le recours aux citations dans ses interprétations. En effet, c'est le guide et l'outil de l'interprète. Il l'a bien employée et, de ce fait, je vais me contenter dans cet article de la mise en valeur de certaines citations en matière de la signification linguistique et son impact sur l'élucidation du texte coranique ainsi que ses finalités. L'illustration via le coran, la poésie et le proverbe en est l'exemple.

ملخص:

لا تخلو كتب التفسير على اختلاف مشاربها وتنوع اتجاهاتها من وفرة الشواهد، والرازي كغيره من المفسرين قد أكثر من الشاهد في تفسيره . لأنه دليل المفسر وأداته . ووظفه أحسن توظيف وسوف أقتصر في مقالي هذا على بيان بعض هذه الشواهد في مجال الدلالة اللغوية وأثرها في إبراز معاني القرآن الكريم ومقاصده كالاستشهاد بالقرآن وبالشعر وبالمثل.

الكلمات المفتاحية:

الفخر الرازي . الشاهد . الدلالة اللغوية .
القرآن . الشعر. المثل

التحليل :

المقصود بالشواهد في التفسير هي كل الوسائل التي يستخدمها المفسر، والتي تعينه على استنباط المعنى من آي الذكر الحكيم أو ترجيحه، والتي يستقيها المفسر من مصادرها وهي القرآن الكريم وقراءاته، والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين، واللغة العربية، والرأي والاجتهاد. ولذلك لا تخلو كتب التفسير على اختلاف مشاربها وتنوع اتجاهاتها من وفرة هذه

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الشواهد، والرازي كغيره من المفسرين قد أكثر من الشاهد في تفسيره ولا غرابة في ذلك لأنه دليل المفسر وأداته، وسوف أقتصر على ذكر بعض هذه الشواهد في مجال الدلالة اللغوية وأثرها في إبراز معاني القرآن الكريم ومقاصده ومن ذلك :

أ . الآيات القرآنية

القرآن كلام الله المنزل على رسوله ومصطفاه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عجزت عن محاكاته عقول البشر. هو كتاب عقيدة وشريعة, وحكمة وأخلاق, وعلم وبيان ,كما أنه نص أدبي رفيع, وهو وحدة واحدة ، يفسر بعضه بعضا ، ويؤيد بعضه بعضا ؛ يقول الرازي :"... والقرآن كله كالكلمة الواحدة "[1] ،وفي موضع آخر من تفسيره يقول:" ... فوجب أن يكون ههنا مفسرا بذلك لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب والله أعلم "[2] .

ويقول ابن تيمية في تفسير القرآن بالقرآن :"إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر "[3]

وللقرآن الكريم قداسة كبيرة في فكر الفخر الرازي, ويتضح ذلك من خلال تفسيره له, وما ضم من مواقف تبين احترامه للنص القرآني, وأنه مقدم عنده على بقية المصادر في استنباط المعاني وتأكيدها؛ لأنه كلام الله تعالى المشهود له بالفصاحة والإعجاز, وفي هذا يقول:" ...لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب "[4]، ويقول أيضا: "...وأقول إني لأتعجب كثيرا من تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع, وذلك أنهم لو وجدوا شعرا مجهولا يشهد لما أرادوه فرحوا به, واتخذوه حجة قوية, فورود هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها"[5].

والذي يفهم من هذا النص أن الاستشهاد بالقرآن, والاحتجاج به مقدم عنده على المصادر الأخرى. خصوصا إذا تعلق الأمر بالمسائل اللغوية والنحوية ناهيك عن تفسير القرآن بالقرآن. والمتصفح للتفسير الكبير يلمس ذلك, فكثيرا ما يستشهد الرازي بالنص القرآني عند معالجاته لمعاني الآيات وللقضايا النحوية واللغوية بهدف تأكيد قاعدة نحوية , أو تصحيحها , أو تبيان معاني بعض الحروف أو الأدوات, أو لتثبيت اتفاق النحاة وإجماعهم, أو يبرهن على صحة تخريج آية قرآنية, أو لتوضيح معنى لغوي ...وغير ذلك, وكلها أغراض جعلت منهجه يتسم بالموضوعية والعلمية, وأذكر أمثلة عن بعض هذه الأغراض:

1 . تبيان معاني بعض الحروف أو الأدوات .

عالج الرازي مسألة حروف المعاني, وفي كل حالة يستخدم النص القرآني للاستدلال على صحة قاعدة نحوية أو توضيحها, ففي مسألة معاني حرف (الباء), ذكر بعض معانيها من خلال

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الاستعمال اللغوي مستدلا بالقرآن, فقد تكون أصلية, كقوله تعالى: {قل ما كنت بدعا من الرسل}[الأحقاف:9], وقد تكون زائدة وهي على أوجه: فتكون للإلصاق, كقوله: (أعوذ بالله), وقوله:(بسم الله). وتكون لتأكيد النفي، كقوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}[فصلت:46], وتكون للتعدية, كقوله تعالى: { ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ } [البقرة:17]؛ أي أذهب نورهم, وتأتي للتبعيض عند الشافعي, وقد تكون بمعنى القسم كقوله: (بالله)[6].

وذكر ابن هشام في المغني أن لِحرف الباء المفردة أربعة عشر معنى , منها التي ذكرها الفخر الرازي, ومثّل للتي بمعنى التبعيض بقوله تعالى:{ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً } [الإنسان:6], ومن معاني الباء الأخرى أنها تكون للاستعانة والمصاحبة والسببية والظرفية والمقابلة والمجاوزة والاستعلاء والغاية والتوكيد [7].

أما ابن جني فإنه ينفي أن تكون للتبعيض في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فيقول:" فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي رحمه الله عنه من أن الباء للتبعيض, فشيء لا يعرفه أصحابنا , ولا ورد به ثبت"[8]. وفي بيان "أو" في قوله تعالى:{ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... } [البقرة:74] ذكر أن كلمة (أو) للترديد, وهو لا يليق بكلام علام الغيوب, ثم بين أنها تأتي بمعنى الواو, وبمعنى (بل), واستدل على الأول بأكثر من آية منها قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات:147] بمعنى: ويزيدون وكقوله تعالى: { وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ}[النور:31] , والمعنى: وآبائهن, ومن نظائره قوله تعالى: {لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه:44], وأيضا:{ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً عُذْراً أَوْ نُذْراً} [المرسلات:5, 6] . كما بين أن (أم) تكون على ضربين: متصلة ومنقطعة؛ فالمنقطعة لا تكون إلا بعد كلام تام, لأنها بمعنى (بل والألف), كقول العرب: (إنها الإبل أم شاء). كأنه قال: بل شاء[9], واستدل بقوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [الأحقاف:8]؛ أي: بل يقولون[10] .

وفي بيان أن لفظة (أنّى) في قوله تعالى: {نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة:223] بمعنى أين[11], واستدل بقوله تعالى: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا} [آل عمران:37] والتقدير: من أين لك هذا, فصار تقدير الآية: فأتوا حرثكم أين شئتم, وكلمة: (أين شئتم) تدل على تعدد الأمكنة: اِجلسْ أيْنَ شِئتَ , ويكون هذا تخييرا بين الأمكنة[12].

أورد قول النحاة على حكم (إنما) أنها تفيد الحصر, واحتجاجهم بالقرآن والشعر والقياس, قال الرازي:"... في القرآن قوله تعالى : {إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ} [النساء:171]؛ أي ما هو إلا إله واحد,

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وقوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ} [التوبة:60] ؛ أي لهم لا لغيرهم , وقال تعالى لمحمد: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ } [الكهف:110] ؛ أي ما أنا إلا بشر مثلكم"[13].

كما ذكر اتفاق أكثر النحويين في سبب إدخال الكاف في قوله (أو كالذي) في الآية: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [البقرة:259] وهو أنه عطف على المعنى؛ أي عطف هذه الآية على التي سبقتها, وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ} [البقرة:258] . قال الرازي:"...والتقدير: أرأيت كالذي حاج إبراهيم , أو كالذي مر على قرية , فيكون هذا عطفا على المعنى , وهو قول الكسائي والفراء وأبي علي الفارسي, وأكثر النحويين قالوا: ونظيره من القرآن قوله تعالى: قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [المؤمنون:84 , 85] ثم قال: {قُلْ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [المؤمنون: 86، 87] فهذا عطف على المعنى لأن معناه: لمن السماوات ؟ فقيل: لله "[14].

كما بين أن (اللام) في قوله (لتزول) من الآية الكريمة: {وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} [إبراهيم:46], هي لام الجحد كما يسميها النحاة, ومن سبيلها نصب الفعل المستقبل, واستدل بآيتين هما: قوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ } [آل عمران:179] وقوله تعالى: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران:179] [15].

إلا أن ابن هشام في المغني اعترض على قول النحاة ورأى أنها لام (كي), فقال:"وزعم كثير من الناس في قوله تعالى: { وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } إبراهيم46] في قراءة غير الكسائي(بكسر اللام الأولى وفتح الثانية) أنها لام الجحود وفيه نظر؛ لأن النافي على هذا غير (ما) و (لَم) ولاختلاف فاعلي (كان) و(تزول) والذي يظهر لي أنها لام (كي) وأنّ (إنْ) شرطية ؛ أي: وعند الله جزاء مكرهم, وهو مكر أعظم منه وإن كان مكرهم لشدته معدا لأجل زوال الأمور العظام المشبهة في عظمها بالجبال، كما تقول: (أنا أشجع من فلان وإن كان معدا للنوازل)"[16].

2 . تأكيد قاعدة نحوية أو تصحيحها .

من ذلك ما ذكره في باب الإضمار قبل الذكر, فبيّن أنه يأتي على وجوه وأفاض في الشرح[17]. وملخص ذلك: فالأول: أن يحصل صورة ومعنى مثل قولك: (ضرب غلامه زيدا), والمشهور أنه لا يجوز ثم ذكر سبب ذلك . والثاني: أن يتقدم المفعول على الفاعل في الصورة لا

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

في المعنى ,كقولك: (ضرَب غلامَه زيدٌ) , فالمفعول هنا متقدم على الفاعل في اللفظ لكنه متأخر عنه في المعنى . والثالث: وهو أن يقع في المعنى لا في الصورة , واستدل على ذلك بالنص القرآني, فقال:"...وأما القسم الثالث: وهو أن يقع في المعنى لا في الصورة ,كقوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} [البقرة:124] , فههنا الإضمار قبل الذكر غير حاصل في الصورة, لكنه حاصل في المعنى؛ لأن الفاعل مقدم في المعنى, ومتى صرح بتقديمه لزم الإضمار قبل الذكر"[18], كما استشهد بالآية: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة :6] على أن الفعل قد يكون مضمرا والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين[19].

والمواضيع التي ناقش فيها الرازي مسألة لغات العرب كثيرة في التفسير الكبير, والغرض منها تبيان أن القرآن نزل بلغات العرب خصوصا القراءات , فنذكر الآتي:

تساءل الرازي عند تعرضه لتفسير قوله تعالى: { ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } [البقرة:232], فقال:لم وحد الكاف في قوله تعالى:"ذلك" مع أنه يخاطب جماعة ؟ ثم أجاب مستدلا بالقرآن, فقال:"هذا جائز في اللغة والتثنية أيضا جائزة, والقرآن نزل باللغتين جميعا, قال تعالى:{ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي } [يوسف:37] وقال:{ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ }[يوسف:32], وقال:{ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ}[الأعراف:22]"[20].

وبين الرازي مسألة الإضافة اللفظية في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء:97] حيث قال أن كلمة (ظالمي) في الحقيقة نكرة وإن أضيفت إلى المعرفة , وعلل ذلك , فقال:"...لأن المعنى على الانفصال كأنه قيل: ظالمين أنفسهم إلا أنهم حذفوا النون طلبا للخفة، واسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال, فقد يكون مفصولا في المعنى وإن كان موصولا في اللفظ, وهو كقوله تعالى:{ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} [الأحقاف:24] و{ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ} [المائدة:95] و{ثَانِيَ عِطْفِهِ}[الحج:9], فالإضافة في هذه المواضع كلها لفظية لا معنوية"[21].

كما بين الرازي فائدة دخول اللام في قوله:(لربهم) في قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } [الأعراف:154] قال:"هو للتقوية؛ لأن تأخير الفعل عن مفعوله يكون ضعيفا في العمل، وقال نظيره قوله تعالى: { إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } [يوسف:43] "[22].

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وإليه ذهب بدر الدين الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن), حيث قال:"وتزاد لتقوية العامل الضعيف إما لتأخره ..."[23].

3 . يبرهن على تخريج معنى آية قرآنية أو لتوضيح معنى لغوي.

ذكر أن (مَنْ) تستعمل للواحد والتثنية والجمع , واستدل على ذلك بالقرآن , فقال:"لفظة (من) لفظة صالحة للتثنية والجمع والواحد ؛ أما في الواحد فقوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} [الأنعام:25], وفي الجمع كقوله: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } [يونس:42], والسبب فيه أنه موحد اللفظ مجموع المعنى , فعند التوحيد يرجع إلى اللفظ , وعند الجمع يرجع إلى المعنى , وحصل الأمران في هذه الآية ,لأن قوله:(يقول) لفظ الواحد و(آمنا) لفظ الجمع"[24].

وقال الزركشي في هذه المسألة: "إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى, بدئ باللفظ ثم بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن ,كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ}[العنكبوت: 10] فرد أولا باعتبار اللفظ, ثم جمع ثانيا باعتبار المعنى فقال:(وما هم بمؤمنين) فعاد الضمير مجموعا "[25].

وفي صحة تخريج معنى الآية: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة:177] قال أن فيه حذف، والتقدير:" ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله , فحذف المضاف وهو كثير في الكلام ,كقوله: { وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} [البقرة:93] أي:حب العجل ويقولون: (الجود حاتم) و(الشعر زهير) و(الشجاعة عنترة)"[26].

4 . بيان تشابه المعاني القرآنية وتأييد بعضها ببعض.

فمن ذلك تفسير قوله تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة :73] فبعدما بسط في تفسيرها وذكر المسائل المتعلقة بها ذكر أن في قوله: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) كلام محذوف، والتقدير: "فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه ببعضها فحيي، إلا أنه حذف ذلك لدلالة قوله تعالى:(كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى) وعليه هوكقوله تعالى:{ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ} [البقرة: 60] ؛ أي فضرب فانفجرت "[27].

5 . بيان الفروق بين سياق الآيات وأثره في الدلالة.

لقد لاحظ الرازي أن لكل سياق خصوصية دلالية ضمن الإطار العام للدلالة، وأثبتها في كثير من مواطن تفسيره، وذلك من خلال المقارنة بين التعبيرات القرآنية المتشابهة ، فمن ذلك

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

نسجل ما جاء في مقارنته بين قوله تعالى في البقرة: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ }[البقرة :58] وقوله تعالى في الأعراف: { وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}[الأعراف:161] لماذا عبر في الأولى بـ(خطاياكم) وفي الثانية بـ (خطيئاتكم)؛ وذلك لأن سياق كل آية مختلف عن الآخر وهو الذي حدد نوع التعبير؛ حيث في الأولى عبر بجمع الكثرة، وفي الثانية عبر بجمع القلة، يقول الرازي:"... لم قال في البقرة(نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) وفي الأعراف (نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) ؟ الجواب: الخطايا: جمع الكثرة و(الخطيئات) جمع السلامة فهو للقلة. وفي سورة البقرة لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ) لا جرم قرن به ما يليق جوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة. وفي الأعراف لما لم يضف ذلك إلى نفسه بل قال: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ)لا جرم ذكر ذلك بجمع القلة؛ فالحاصل أنه لما ذكر الفاعل ذكر ما يليق بكرمه من غفران الخطايا الكثيرة ، وفي الأعراف لما لم يسم الفاعل لم يذكر اللفظ الدال على الكثرة "[28]. وتوسع أكثر في ذكر مختلف الفوائد المستفادة في الفروق بين كل تعبير في كلتا الآيتين عندما وصل إلى تفسير هذه الآية في سورة الأعراف[29] .

6 . بيان تنوع دلالة اللفظة.

للكلمة دلالة أصلية ولها دلالات فرعية تكتسبها من خلال ورودها في سياقات مختلفة وقد بينها الرازي في مناسبات عديدة وهو يتعرض لبيان معاني الألفاظ ومن ذلك كلمة (موعد) في قوله تعالى: { فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَاناً سُوًى } [طه : 58] حيث ذكر أنها تأتي بمعنى المصدر، وبمعنى اسم المكان، وبمعنى اسم الزمان ممثلا لكل حالة ، فقال الرازي :"... فاعلم أن (الموعد) يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون اسماً لمكان الوعد، كقوله: { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ } [الحجر:43]، وأن يكون اسماً لزمان الوعد، كقوله: { إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ }[هود: 81]، والذي في هذه الآية بمعنى المصدر؛ أي (اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه) ؛ لأن الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف، أما الزمان والمكان فلا يصح وصفهما بذلك "[30] .

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

أما بالنسبة إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف فالذي تبين لي أن الرازي كان يعتمده عند تفسير بعض الآيات، لكنه قليل إذا ما قورن ببقية المصادر؛ ذلك لأن الرازي يشترط لصحة الرواية شرطين هما:

- أن تكون الرواية موافقة للقرآن .
- أن تكون الرواية قوية الإسناد [31].

ومما يدعم ذلك أنه كان يعتمد في نقل الأخبار والآثار على كتب تفاسير التي تقدمت، وهو يصرح في تفسيره في أكثر من موضع ومنها قوله بعدما أورد عددا من الآثار:" هذه الآثار نقلتها من (الكشاف)"[32].

ج . الشواهد الشعرية.

كلام العرب شعرا ونثرا مصدر من مصادر الاحتجاج حيث يحتج به في اللغة, والنحو والصرف بعد كتاب الله تعالى, وحديث رسوله , والشعر ديوان العرب, وبه حفظت الأنساب, وعرفت المآثر, ومنه تُعلّمت اللغة , وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله تعالى, وغريب حديث رسول الله [33]. وكان النحاة عامة ينظرون إلى الشعر بدقة وحذر, ولا يعتمدون إلا على ما ثبت عند صحة نسبه إلى قائله وفصاحته , وصدق راويه والوثوق فيه , وخلوه من الضرورات , لذلك اشتدت عنايتهم بالرواية وأنواعها وطرقها, وبصفات الراوي, وما يجب عليه من الأمانة والصدق, ونحوها[34].

ويعتمد في تقرير أحكام اللفظ على (أشعارالجاهلية): وهم الذين كانوا قبل الإسلام كامرئ القيس وزهير والأعشى. و(المخضرمين): وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كحسان ولبيد. و(الإسلاميين): وهم الذين نشأوا في صدر الإسلام كالفرزدق وذي الرمة. وأما (المولَّدون)، ويقال لهم: (المُحْدَثُون): وهم من بعدهم إلى زماننا، وتبتدئ طبقتهم ببشار بن برد (ت 167هـ) ، وأبي نواس الحسن بن هانئ (ت 198هـ)، فلا يحتجُّ بشيء من أشعارهم في أحكام اللسان, كما لا يجوز الاحتجاج بشعر, أو نثر لا يُعْرف قائله، وعلة ذلك: الخوف من أن يكون لمولّد، أو ممنْ لا يوثق بفصاحته.

فإن روى الشعْر عربيٌّ ينطق بالعربية بمقتضى السليقة فيُحتجُّ به، وكان العرب ينشد بعضهم شعره للآخر، فيرويه عنه كما سمعه، أو يتصرف فيه على مقتضى لغته، ولهذا تكثر الروايات في بعض الأبيات، ويكون كلٌ منها صالحا للاحتجاج، كما يُحتَج بالشعر الذي يرويه من يوثق به في اللغة، واشتهر بالضبط والإتقان, وإن لم يُعرَف قائله. وقد تلقّى علماء العربية شواهد كتاب (سيبويه)

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

بالقبول، وفيها شواهد كثيرة لم يعرف أسماء قائليها، فإنما يكون الردّ وجيها إذا روى الشعر من لم يكن عربيا فصيحا، ولم يشتهر بالضبط والإتقان فيما يسوقه من الشعر على أنه عربي فصيح[35].

وما نحن بصدده من موارِد العربية خاصٌّ بما يُستَشهد به في النحو والصرف واللغة. أما ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع؛ فإنه يُستَشهَد عليها بكلام الشعراء جميعا، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره.

ويعطي الرازي مفهوما للشعر, وهو يفسر قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } [يس:69] , حيث بدأ بتعليل: لِم خص الله الشعر بنفي التعليم مع أن الكفار اتهموه أيضا بالسحر والكهانة فيعلل ذلك , فيقول:"... وأما الشعر: فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلو القرآن عليهم ؛ لكنه ε ماكان يتحدى إلا بالقرآن , كما قال تعالى: { وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ } [البقرة:23] , ولم يقل إن كنتم في شك من رسالتي فأنطقوا الجذوع , أو أخبروا بالغيوب , فلما كان تحديه . صلى الله عليه وسلم . بالكلام , وكانوا ينسبونه إلى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفي التعليم"[36].

وفي نفي الشعر عنه . صلى الله عليه وسلم . , وتبيان مفهومه , يقول الرازي:" ...وهو أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له , وذلك لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن؛ فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى, والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ , لأنه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر أو قافيته فيحتاج إلى التحيل لمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ, وعلى هذا نقول: الشعر هو الكلام الموزون الذي قصدا أوليا, وأما من يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى, فلا يكون شاعرا, ألا ترى إلى قوله تعالى:{ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران:92] ليس بشعر, والشاعر إذا صدر منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما في الآية تقطيعه بفاعلاتن فاعلاتن يكون شعرا؛ لأنه قصد الإتيان بألفاظ حروفها متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبعه, والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الألفاظ, وعلى هذا يحصل الجواب عن قول من يقول: إن النبي ذكر بيت شعر وهو قوله:

* أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لأنا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده إلى الوزن والقافية, وعلى هذا لو صدر من النبي ε كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا؛ لعدم قصده اللفظ قصدا أوليا , ويؤيد ما ذكرنا أنك إذا تتبعت

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

كلام الناس في الأسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر,ولا يسمى المتكلم به شاعرا, ولا الكلام شعرا لفقد القصد إلى اللفظ أولا "[37].

ووظف الفخر الرازي مصطلحات وتراكيب لغوية دلت على أمانته العلمية في استعمال الشاهد الشعري سواء الذي نقله هو, أو الذي نقله عن غيره من النحاة واللغويين والمفسرين, ومنها "...وأنشد النحويون /.. قول امرئ القيس/.. قال الشاعر/... وأنشدوا /... وأنشد الكوفيون".

والمتصفح للتفسير الكبير لا يكاد يمر بمسألة لغوية, أو نحوية, أو معنى من المعاني إلا ويجد شاهدا شعريا قد احتج به الفخر الرازي, وأحيانا يستشهد بأكثر من ثلاث أبيات على معنى واحد[38] الأمر الذي يدل على مدى الجهد الفكري الكبير الذي بذله إمامنا في تفسير معنى من المعاني وتوضيح مسألة نحوية, أو لغوية وتبسيطها, أو ترجيحها, أو إبطالها, كغيره من المفسرين وعلماء اللغة من أمثال: محمود الألوسي, وابن عطية, والقرطبي, وابن جرير الطبري, والزمخشري, والشوكاني، والطاهر بن عاشور، وغيرهم.

وتتجلى عنايته بالنص الشعري في توثيقه, وتصحيح روايته, والتأكد من دقة معانيه, وتحليل الشاهد فيه موردا آراء اللغويين فيه, ومصححا في أحيان أخرى تأويلات النحاة في بعض الشواهد الشعرية , وقد اتبع الرازي منهجية علمية بينت أغراضه في الاستشهاد بالشعر نوضحها جانبا منها كالآتي:

1 . يأتي بالشاهد الشعري لإبراز وتأكيد معنى اللفظة المفردة .

ومنه ما جاء في الاستدلال على معنى لفظة (يغنوا) في قوله تعالى: { الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً } [الأعراف:92] ؛ حيث ذكر أن لها معنيان مستدلا بالشاهد الشعري، يقول الرازي:" البحث كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ الأول في قوله: (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا) قولان:

أحدهما: يقال غني القوم في دارهم إذا طال مقامهم فيها والثاني المنازل التي كان بها أهلوها واحدها مغني قال الشاعر:

* وَلَقَد غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابتِ الأَوتادِ

أراد أقاموا فيها وعلى هذا الوجه كان قوله: (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا) كأن لم يقيموا بها ولم ينزلوا فيها.

والقول الثاني: قال الزجاج: (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا) كأن لم يعيشوا فيها مستغنين؛ يقال غني الرجل يغنى إذا استغنى وهو من الغني الذي هو ضد الفقر.

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وإذا عرفت هذا فنقول: على التفسيرين شبه الله حال هؤلاء المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار قال الشاعر:

كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّةَ سَامِرُ

بَلَى نحنُ كنَّا أهلَهَا فأبادَنا ... صُرُوفُ الليالي والجُدُودُ العَواثرُ [39].

وتتبع الرازي كعادته المعنى الأصلي لكلمة (فاءوا) الواردة في قوله تعالى: { لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة :226]، وقال أن (الفيء) في اللغة هو: رجوع الشيء إلى ما كان عليه من قبل. وحكى عن العرب أنهم يفرقون بين (الظل) و(الفيء) واستدل بالشاهد الشعري، يقول الرازي :"... وفرق أهل العربية بين (الظل) و(الفيء) فقالوا: (الفيء ما كان بالعشي)؛ لأنه الذي نسخته الشمس، و(الظل ما كان بالغداة)؛ لأنه لم تنسخه الشمس، وأنشدوا:

لا الظِلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تَسْتطيعُه ... ولا الفيْءُ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوْقُ "[40] .

ولم يكتف الرازي بذلك، بل ذكر حكاية الفراء عن العرب أنها تقول : (فلان سريع الفيء والفيئة)؛ أي سريع الرجوع عن الغضب إلى الحالة المتقدمة. وذكر أن المال الذي رده الله للمسلمين من مال المشركين يسمى: فيء كأنه كان لهم فرجع إليهم، ليخلص بعد ذلك إلى بيان معنى الآية فقال:" ... (فَإِن فَاءوا) معناه: فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته. كما أنه غفور رحيم لكل التائبين"[41].

2 . يأتي بالشاهد الشعري لتصحيح الرواية.

ومن ذلك مثلا ما ذكره في باب الممنوع من الصرف , حيث أورد قول سيبويه :" السبب الواحد لا يمنع الصرف, وحجته أن المقتضي للصرف قائم وهو الاسمية, والسببان أقوى من الواحد , فعند حصول السبب الواحد وجب البقاء على الأصل " وهو خلاف للكوفيين, ثم ذكر شاهدا شعريا احتج به ضد مذهب سيبويه فقال:"... وقد قيل أيضا :

* وَمَا كَانَ حصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ ... يَفُوقانِ مِرْداسَ في مَجْمعِ

وجوابه: أن الرواية الصحيحة في هذا البيت: (يفوقان شيخي في مجمع)"[42]. وهو ما ذهب إليه ابن السراج في كتابه الأصول[43].

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

ورفض الرازي أن يكون النظر المقرون بـ(إلى) بمعنى الانتظار الوارد في التركيب القرآني, وصحح الرواية في النص الشعري, فقال:" والذي ندعيه أن (النظر) المقرون بحرف (إلى) المعدى إلى الوجوه ليس إلا بمعنى (الرؤية) , أو بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر, فوجب أن لا يرِد بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك, وأما قول الشاعر:

وُجُوهٌ نَاظِراتٌ يَوْمَ بَدْرٍ إِلَى الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلاَصَا

قلنا هذا الشعر موضوع والرواية الصحيحة:

وُجُوهٌ نَاظِراتٌ يَوْمَ بَكْرٍ إِلَى الرَّحْمَنِ تَنْتَظِرُ الْخَلاَصَا

والمراد من هذا (الرحمن) مسيلمة الكذاب؛ لأنهم كانوا يسمونه (رحمان اليمامة), فأصحابه كانوا ينظرون إليه ويتوقعون منه التخلص من الأعداء "[44].

3 . **يأتي بالشاهد الشعري ليدلل على صحة قاعدة نحوية , أو ترجيح مذهب نحوي.**

في تأكيد أن (لو) تختص بالفعل تعرض لماهيتها , وماهية الاسم والفعل, ومنتهيا بنص شعري للمتلمس, فقال الرازي:"قوله: { قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً } [الإسراء :100] فيه بحث يتعلق بالنحو وبحث آخر يتعلق بعلم البيان أما البحث النحوي: فهو أن كلمة (لو) من شأنها أن تختص بالفعل[45] لأن كلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره , والاسم يدل على الذوات, والفعل هو الذي يدل على الآثار والأحوال, والمنتفي هو الأحوال والآثار لا الذوات, فثبت أن كلمة (لو) مختصة بالأفعال, وأنشدوا قول المتلمس:

لَوْ غَيْرَ أَخْوَالِي أَرَادَ نَقِيصَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَأْتَمَا

والمعنى: لو أراد غير أخوالي "[46].

كما يأتي بالنص الشعري ليستدل به على تخريجات نحوية لآيات القرآن الكريم, ومن ذلك مثلا ما أورده في إعراب قوله:"إنا نحن"في قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} [يس:12] , من أنه يحتمل أن يكون مبتدأ وخبرا , واستدل بالنص الشعري, فقال:" (إنا نحن) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مبتدأ وخبرا كقول الشاعر:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة , وذلك لأن من لا يُعرَف يقال له من أنت ؟فيقول أنا ابن فلان فيُعرف , ومن يكون مشهورا إذا قيل له من أنت ؟ يقول أنا؛ أي لا معرف لي أظهر من

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

نفسي , فقال: إنا نحن معروفون بأوصاف الكمال , وإذا عرفنا بأنفسنا فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى"[47]. وتساءل الرازي عن عدم تأنيث لفظة (منفطر) في قوله تعالى: {السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً}[المزمل:18], ثم ذكر التأويلات الواردة فيها مستشهدا بالنص الشعري فقال:"...وثانيها قال الفراء : السماء تذكر وتؤنث, وهي ههنا في وجوه التذكير, وأنشد شعرا:

فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحِقْنَا بِالنُّجُومِ مَعَ السَّحَابِ [48]

وثالثها :أن تأنيث السماء ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره, قال الأعشى:

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا "[49]

4 . **يأتي بالشاهد ليؤكد صحة اللغات وتعددها.**

من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة:من الآية25], حيث تساءل: لمَ تأتي الصفة مجموعة كالموصوف في قوله: (أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) ؟ ثم أجاب مستدلا ببيت الحماسة فقال:" هما لغتان فصيحتان يقال: (النساءُ فَعْلَنَ) و(النساءُ فَعَلْتْ) , ومنه بيت الحماسة:

وَإِذَا الْعَذارَى بِالدُّخانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْمَلَتْ نُصْبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتِ

والمعنى : وجماعة أزواج مطهرة"[50].

وذكر أيضا أن (الباء) تأتي بمعنى (عن), واستدل بالقرآن وبالشعر, فقال :"الباء في قوله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ }[البقرة:166] بمعنى (عن),كقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً } [الفرقان:59] أي عنه, قال علقمة بن عبدة:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّساءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ

أي عن النساء "[51].

وفي مسألة (إنما) ذكر الرازي قول الذين قالوا أنها تفيد الحصر, واحتجاجهم بالقرآن والشعر, والقياس؛ فالشعر قول الأعشى:

وَلَسْتُ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

وقول الفرزدق :

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذِّمارَ وإِنَّمَا يَدافِعُ عَنْ أَحْسابِهِ أَنَا أَوْ مِثْلِي[52]

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

في تأويل الضمير في قوله "فيهن" في الآية الكريمة: { مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ }[التوبة:36] ذكر الرازي قول الأكثرين: أنه عائد إلى الأربعة الحرم؛ لأنه أقرب المذكورات هذا العدد قالوا: (فيها) "[53]. قال الرازي مستشهدا بالنص الشعري:" والأصل فيه أن جمع القلة يكنى عنه كما يكنى عن جماعة مؤنثة, ويكنى عن جمع الكثرة كما يكنى عن واحدة مؤنثة, كما قال حسان بن ثابت:

لَنَا الْجَفناتُ الْغرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَة دَما

قال: (يلمعن ويقطرن) ؛ لأن الأسياف والجفنات جمع قلة , ولو جمع جمع الكثرة لقال: (تلمع وتقطر), هذا هو الاختيار. ثم يجوز إجراء أحدهما مجرى الآخر,كقول النابغة:

وَلاَ عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سيوفَهمْ بِهِنَّ فُلولٌ منْ قِراعِ الكتائِبِ

فقال: (بهن) و(السيوف) جمع كثرة "[54].

وفي تفسير قوله تعالى: { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ }[يوسف:100] قال الرازي:" أي (إلي) يقال: (أحسن بي وإليه) , قال كثير:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ لَدَيْنا وَلاَ مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ "[55]

ذكر الرازي تعدد اللغات في لفظة (ربما) في قوله تعالى: {رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ }[الحجر:2] ؛ لأن نافع وعاصم قرآ (ربما) خفيفة الباء , والباقون مشددة, وذكر قول أبي حاتم: أهل الحجاز يخففون (ربما), وقيس وبكر يثقلونها. ثم بسط المسألة موردا احتجاج النحويين بالشعر, فقال:" وأقول في هذه اللفظة لغات؛ وذلك لأن الراء من رب وردت مضمومة ومفتوحة, أما إذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة, ومخففة وساكنة وعلى كل التقديرات تارة مع حرف (ما) وتارة بدونها, وأيضا تارة مع التاء وتارة بدونها, و(رب) بتسكين الباء وأنشدوا بيت الهذلي:

أزُهَيْرُ إن يَشِبِ القَذَالُ فإنني ... رُبَ هَيْضلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ "[56]

د . الأمثال العربية .

المثل قول موجز استخدمه النحاة والبلاغيون والمفسرون في الاستدلال على آرائهم فيما ذهبوا إليه أثناء مناقشاتهم للمسائل النحوية أو البلاغية أو توضيح المعاني وتأكيدها ، وقد اعتمده الرازي في تفسيره وجعله أداة يستشهد بها على ما يذهب إليه ، لأنه يدرك ما له من دور في التبليغ . إذ يقول:" ولذلك فإن المعاني الدقيقة إذا أُريد إيضاحها ذكر لها مثال فإن المثال يعين على الفهم

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

"[57]، ولذلك كان استشهاده بالأمثال في الغالب على المعاني المعجمية للألفاظ، والمعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب .

وتعددت الأغراض من وراء استخدامه للأمثال يمكن إجمالها كما يلي:

1 . الاستئناس به لإيضاح معنى اللفظة.

ففي قوله تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }[البقرة: 256] فسر لفظة (تبين) بمعنى:(ظهر ووضح)"[58] ودلل على ذلك بالمثل العربي(قد تبين الصبح لذي عينين) [59].

وكما في بيان معنى لفظة (الظلمة) في قوله تعالى:{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ }[البقرة:17] ، والتي معناها في أصل اللغة عبارة عن (النقصان)، واستدل على ذلك بقوله تعالى: {كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً }[الكهف: 33] ؛ أي لم تنقص[60] ، وبالمثل القائل : (من أشبه أباه فما ظلم) ؛ أي فما نقص حق الشبه[61].

2 . الاستدلال به على تأصيل اشتقاقي.

كما في تفسير(الطامة) من قوله تعالى:{ فَإِذَا جَاءتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى }[النازعات:34] إذ يقررأن معناها عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وفي اشتقاقها وجوه فيذكر قول المبرد: بأنها أخذت فيما من قولهم (طمَّ الفرسُ طميمًا) إذا استفرغ جهده في الجري و(طم الماء) إذا ملأ النهركله[62] . **قول الليث:** الطَّمُّ: طَمُّ بالتراب وهو الكَبْس. ويقال: (طم السيل الرَّكيَّة) إذا دفنها حتى * يسويها، ويقال للشيء الذي يكبر حتى يعلو: (قد طم)، والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها. **قول القفال:** أصل (الطم): الدفن والعلو. وكل ما غلب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمه، ومنه (الماء الطامي): وهو الكثير الزائد. والطاغي والعاتي والعادي سواء وهو: الخارج عن أمر الله تعالى المتكبر.ثم استأنس بالمثل (فوق كل طامة طامة) ليخلص إلى أن :"... الطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها"[63] .

وفي قوله تعالى: { تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ }[البقرة: من الآية 196] يأتي بمثال لبيان الأصل الاشتقاقي للفظة (تمتع)، فيقول:" معنى التمتع: التلذذ. يقال: (تمتع بالشيء)؛ أي تلذذ به. والمتاع: كل شيء يتمتع به، وأصله من قولهم: (حبل ماتع)؛ أي طويل،

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وكل من طالت صحبته مع الشيء فهو متمتع به. والمتمتع بالعمرة إلى الحج هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحج ثم يقيم بمكة حلالاً ينشيء منها الحج فيحج من عامه ذلك، وإنما سمي متمتعاً لأنه يكون مستمتعاً بمحظورات الإحرام فيما بين تحلله من العمرة إلى إحرامه بالحج. والتمتع على هذا الوجه صحيح لا كراهة فيه"[64].

3 . الاستدلال به على مسألة نحوية .

من ذلك عند تفسير لقوله تعالى: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ **وَلاَ نُكَذِّبَ** بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الأنعام:27] حيث ذكر عدة احتمالات في قوله: (وَلاَ نُكَذِّبَ) من حيث محلها الإعرابي فذكر عدة وجوه منها: أن يكون معناه: (الحال)، يقول:"... والثالث أن يكون معناه الحال، والتقدير: يا ليتنا نرد غير مكذبين. كما تقول العرب: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) "[65]. وفي قوله تعالى: { قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ } [البقرة:من الآية 249] يستدل على لفظة (الطاقة) بأنها اسم بمثل (الطاعة) فيقول:" (الطاقة) مصدر بمنزلة (الإطاقة)، يقال: (أطقت الشيء إطاقة وطاقة). ومثلها: (أطاع إطاعة) والاسم (الطاعة)، و(أغار يغير إغارة)، والاسم (الغارة) و(أجاب يجيب إجابة)، والاسم (الجابة) . وفي المثل (أساء سمعاً فأساء جابة) ؛ أي جواباً "[66] .

الهوامش

[1] . فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، التفسير الكبير ، ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي . المكتبة التوفيقية , (د.ط) ، مصر:2003م ، ج 2 ، ص159

[2] . المصدر نفسه ، ج10 ، ص38

[3] . ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1980م ، ص 39

[4] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج10 ، ص 38

[5]. المصدر نفسه ، المواضع :ج5 , ص123 و ج19 , ص 127

[6] . ينظر: التفسير الكبير , المصدر السابق, ج1 , ص102 .

[7] . جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري , مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ط2 ، دار السلام ، القاهرة :1426هـ/2005م, المرجع السابق ، ج1 , ص229 . 240

[8] . ابن جني , سر صناعة الإعراب , تح:حسين هنداوي ، ط1 دار القلم ،دمشق :1985م ، ج1 , ص123

[9] . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه , الكتاب , تح: عبد السلام محمد هارون ، ط3 مكتبة الخانجي ، القاهرة: 1408هـ/1988م ، ج3 , ص172 . 175 وأيضا: ص 178 و 190 .

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

[10] . ينظر: التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج3 , ص 225

[11] . سيبويه , الكتاب , المرجع السابق , ج4 , ص235

[12] . ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق, ج6 , ص 66

[13] . المصدر نفسه , ج5 , ص 10 / وجمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري. شرح شذورالذهب , تح: بركات يوسف هبود، ط1، دار الفكر، بيروت:1424هـ/2003م، ص364 و 365

[14] . التفسير الكبير , المصدر السابق، ج7 , ص 30 / والفراء , معاني القرآن , المرجع السابق , ج1 , ص 155 .

[15] . ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق , ج19 , ص 119

[16] . ابن هشام , مغني اللبيب , المرجع السابق، ج 1 , ص484

[17] . ينظر بالتفصيل في التفسير الكبير , المصدر السابق، ج1 , ص 63 و 64

[18] . التفسير الكبير، المصدر السابق, ج 1, ص64/ وينظر ابن الأنباري , الإنصاف , المرجع السابق ، ج1 , ص70 / وابن هشام , مغني اللبيب. المرجع السابق , ج2, ص1141, و شرح شذور الذهب. المرجع السابق, ص184

[19] . ينظر: التفسير الكبير، المرجع السابق ،ج1 , ص64 / والزمخشري , الكشاف, المرجع السابق ،ج1 , ص472

[20] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 6 , ص 105

[21] . التفسير الكبير، المرجع السابق,ج11 ,ص11/ وينظر: القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , المرجع السابق ،ج5 , ص328

[22] . التفسير الكبير، المرجع السابق , ج 15 , ص13

[23] . الزركشي, البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق ج3 , ص86 ، وابن هشام , مغني اللبيب, المرجع السابق , ج2 , ص1141

[24] . التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج 2 , ص 64

[25] . الزركشي , البرهان في علوم القرآن , المرجع السابق , ج3 , ص380

[26] . التفسير الكبير , المصدر السابق، ج5 , ص 34 و 35 / وابن الأنباري , الإنصاف , المرجع السابق ، ج1 ص372 / وابن هشام , مغني اللبيب , المرجع السابق , ج1 , ص349

[27] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 3 ، ص 120 ، 121

[28] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج3 ، ص 91

[29] . للمزيد ينظر: المصدر نفه ، ج 15 ، ص 29 ، 30

[30] . التفسير الكبير، المرجع السابق ، ج22 ، ص73

[31] . المصدر نفه ، ج24 ، ص 77

[32] . المصدر نفه ، ج27 ، ص30

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

[33] . ينظر: ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها , تح : عمر فاروق الطباع , ط1 مكتبة المعارف , بيروت , لبنان 1414هـ . 1993م ، ص 268

[34] . ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي , المزهر في علوم اللغة وأنواعها , ت: فؤاد علي منصور , دار الكتب العلمية , ط1 ؛ بيروت : 1998م , ج1, ص136 و 137

[35] . ينظر: محمد الخضر حسين, دراسات في العربية وتاريخها, دارالفتح, (د.ط)؛ دمشق: 1380هـ/ 1960م, ص 39

[36] . التفسير الكبير , المصدر السابق، ج26 , ص97 و 98

* . أخرجه مسلم (رقم : 1776 / الجهاد والسير / باب : في غزوة حنين) من حديث البراء بن عازب

[37] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 26 , ص97 و 98

[38] . ينظر: المصدر نفسه ، ج 13 ، ص 119

* . السمين الحلبي ، الدر المصون،المرجع السابق ، ج5، ص387 ، وهو من قصيدته الدالية المشهورة التي كانت مثار إعجاب الخلفاء والولاة .

[39] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج14 ، ص 159 / وينظر أيضا : الواحدي ، البسيط، المرجع السابق، ج9 ، ص 238 ، 238

[40] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 6 ، ص74 . / وينظر أيضا: الدر المصون ، المرجع السابق ، ج 7 ، ص228

[41] . التفسير الكبير ، المصدر السابق، ج 6 ، 75

* . وروى الزمخشري في الكشاف , المرجع السابق ، ج1 , ص682 , لفظة (مرداس) بصيغة (جدي) فقال:" وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول:

أَتَجْعَلُ نَهبي وَنَهبَ الْعَبيدِ ... بَينَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ

وَمَا كَانَ حصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ ... يَفُوقانِ جَدِّي فِي مَجْمَعِ

[42] . التفسير الكبير , المصدر السابق، ج 1 ص 60

[43] . ينظر: ابن السراج , الأصول في النحو. تح: عبد الحسين القتلي ،ط4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت :1420هـ/ 1999م ج3 , ص437

[44] . التفسير الكبير , المصدر السابق، ج30 , ص 213 و 214

[45] . ينظر: الزمخشري , الكشاف , المرجع السابق ، ج1 , ص697 / والزركشي , البرهان في علوم القرآن , المرجع السابق ، ج4 , ص371/ وأبوالبقاء العكبري , التبيان في إعراب القرآن , ت: علي محمد البجاوى , (د.ط) إحياء الكتب العربي ,(د.ت) , ج2 , ص97

[46] . التفسير الكبير, المصدر السابق، ج21 , ص57

* . في الكشاف ج ، 4 ، ص 458 ، قال :" وشعري شعري ، كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته "

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

47 . التفسير الكبير , المصدر السابق ، ج26 , ص45, وينظر في المصدر نفسه ج29 , ص142 في تفسير قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" [الواقعة:10] / والزركشي, البرهان في علوم القرآن , المرجع السابق ، ج2 , ص224

48 . ينظر: الفراء , معاني القرآن , المرجع السابق ،ج5 , ص151

49 . التفسير الكبير , المصدر السابق ، ج30 , ص171

50 . التفسير الكبير , المصدر السابق ، ج2 , ص130

51 . المصدر نفسه , ج4 , ص203 / وينظر أيضا في المصدر نفسه ,ج24 , ص99 عند تفسير قوله تعالى:"فاسأل به خبيرا" [الفرقان:59] .

52 . ينظر: التفسير الكبير، المصدرالسابق، ج5 , ص10 , وأيضا , ج16 , ص91 عند تفسير قوله تعالى:"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ..."[التوبة:60]

53 . الفراء , معاني القرآن , المرجع السابق , ج2 , ص105 .

54 . التفسير الكبير، المصدرالسابق، ج16, ص48/ والزركشي, البرهان في علوم القرآن , المرجع السابق,ج3, ص357

55 . التفسير الكبير، المواضع: ج18 , ص 176 و ج20 , ص152

56 . التفسير الكبير، المصدرالسابق، ج19 , ص125/ وابن السراج , الأصول في النحو , المرجع السابق ، ج1 , ص416 . 423 , باب (رب) / وابن الأنباري , الإنصاف , المرجع السابق ، ج1 , 285 و 286 وأيضا:ج2, 833 و 834 / وابن هشام , مغني اللبيب, المرجع السابق ،ج1 , ص311 . 318

57 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج7 ، ص161

58 . المصدر نفسه ، ج7 ، ص 19 / والواحدي ، البسيط ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 361

59 . ينظر: التفسير الكبير، المصدر السابق ، ج7 ، ص 19

60 . الواحدي ، البسيط ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 389

61 . ينظر التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 78

62 . التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج31 ، ص50

* . الرَّكِيَّة: البئر، والجمع: وجمعها رَكِيٌّ ورَكايا ... ، وفي المثل:" صارت القوس رَكْوَةً "، يضرب في الإدبار وانقلاب الأمور. ينظر: الجوهري . الصحاح، المرجع السابق، ج6 ، ص 2360، مادة: (ركا).

63 . ينظر: التفسير الكبير ، المصدر السابق ، ج31 ، ص 50

64 . المصدر نفسه ،ج5 ، ص138

65 . التفسير الكبير، المصدر السابق، ج12، ص164

66 . المصدر نفسه ،ج6 ، ص165

قائمة المصادر والمراجع/

1 . ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد , ت 577هـ)

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

. **أسرار العربية** . تحقيق: بركات يوسف هبود . الطبعة الأولى؛ دار الأرقم, بيروت:1999م.

. **الإنصاف في مسائل الخلاف** . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الأولى،مطبعة الاستقامة , القاهرة :1945.

2 . . ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **مقدمة في أصول التفسير** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1980م

3 . أبوالبقاء العكبري , التبيان في إعراب القرآن , ت: علي محمد البجاوى , (د.ط) إحياء الكتب العربي ,(د.ت) , ج2

4 . ابن جني (أبو الفتح عثمان , ت392هـ) . **سر صناعة الإعراب** . تحقيق: د.حسن هنداوي . دار القلم , الطبعة الأولى ؛ دمشق: 1985م ,الأجزاء:1 .

5 . الزركشي (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله . ت794هـ). **البرهان في علوم القرآن** . تحقيق: د. محمد أبو الفضل . الطبعة الأولى، دار المعرفة , بيروت:1957م , الجزء: 2 , 3 , 4

6 . الزمخشري (القاسم جار الله محمود بن عمر ,ت538هـ)

. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . مطبعة البابي الحلبي , (د.ط) ؛ مصر :1367هـ , الأجزاء: 1 , 2 ،3

. **المفصل في صنعة الإعراب** .تح: علي بوملحم. الطبعة الأولى؛ مكتبة الهلال، بيروت: 1993.

7 . ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري البغدادي 316هـ) , **الأصول في النحو** . تحقيق: عبد الحسين القتلي. مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة؛ بيروت لبنان: 1420هـ/1999م , الأجزاء:1

8 . السمين الحلبي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم . ت 756هـ). **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. تحقيق:أحمد محمد الخراط ، (د .ط) ، دار القلم ، دمشق (د.ت) الجزء: 5

9 . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .ت180هـ). **الكتاب**.تحقيق:عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي, القاهرة:1408هـ/1988م , الأجزاء:1 , 2, 4

10 . محمد الخضر حسين, دراسات في العربية وتاريخها, دارالفتح, (د.ط)؛ دمشق: 1380هـ/ 1960م

11 . ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، ت395هـ).

. **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها** . تحقيق: : عمر فاروق الطباع , الطبعة الأولى، مكتبة المعارف , بيروت , لبنان 1414هـ . 1993م

12 . الفخر الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، ت606هـ) .**التفسير الكبير**. ت: هاني الحاج وعماد زكي البارودي . المكتبة التوفيقية , (د.ط) ، مصر : 2003م الأجزاء من 1 إلى 32

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

13 . الفراء (أبو زكرياء يحي بن زياد207هـ). **معاني القرآن** . تحقيق: محمد علي نجار وآخرون، (د.ط) ، دار المصرية ، مصر : (د.ت), الجزء: 5

14 . ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري.ت761هـ)

. **شرح شذور الذهب** . تحقيق: بركات يوسف هبود ، الطبعة الأولى ؛ دار الفكر, بيروت , لبنان:1424هـ/2003م.

. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** . الطبعة الثانية ؛ دار السلام , القاهرة , مصر: 1426هـ/2005م , الأجزاء :1 , 2 .

15 . الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي). **البسيط** ، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، الطبعة الأولى؛ مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض . 1430هـ، الجزء :9